المرأة وما يمكن ان تعمله

خطاب القاه الاستاذ جبران خليل جبران في حفلة عيد العذراء كاتدرائية مدرسة زهرة الاحسان

قال بعض اخواننا الرجال . ان النساء شياطين خلقن لنا . نعوذ بالله من شر الشياطين ووصفنا آخرون فقالوا ان النساء رياحين خلقن لنا . ومن لا يبتغي شم الرياحين . والحقيقة ان المرأة ليست شيطاناً ولا ريحاناً بل هي شقيقة اخيها الجنون و بعلها الرئيس وقائدها الدافع عنها وحاكمها المستبد . بغير ذلك طوع هذه العوامل جميعاً فاذا أفسدت صارت شيطاناً شيماً واذا اصلحت كانت ملاكاً كريماً .

ولقد قاست المرأة شيئاً كثيراً من ظلم الرجل حين كان همجياً فظاً غليظ القلب . فسن لها من الشرائع ما يلائم مصلحته ومشاربه وراءه في غالب سيره في هذه الحياة فكان يمشي امامها وياكل قبلها ويشبع ولا يطعمها ويحكم ولا يحكمها الا مضطراً و يقضي لنفسه عليها ويحتقرها حتى كاد يعم القول بان المرأتين لا تكادا تساويان رجلاً . ولكن شكراً للعلم فانه فتح عيون اخوتنا الرجال على الحقيقة فوجدوا اننا مثلهم الا بلا صعوبة سيفي قدرم ! وعلموا انهم اذا سبقونا كان عليهم ان ينتظرونا لنمشي معاً فصرفوا عنا نهم لتعليمنا قرانهم نحو ابعاً غير العين التي كنا نراهم بها قبلاً فان المرأة القديمة كانت تنظر الى زوجها نظرها الى السيد الحاكم وتدعوه سيدها . اما سيدة اليوم فتنظر الى زوجها نظرة الند الى ند مع المحافظة على مقام هذا الند الشريف العارف وتقديم ما يحق له من الاكرام عند ما يكون كريماً لانه كما يوجد في النساء ملكات وشيطانات هكذا يوجد في الرجال ملائكة وشياطين .

واذا قيل ان الرجل يفوق المرأة في قوته البدنية وفي بعض مواهبه العقلية . فان المرأة تسمو عليه كذلك في كثرة حنانها ودقة شعورها . لاننا ربما نرى الرجل واقفاً امام مشهد محزن بعواطف قد تلين وقد لا تلين نرى دموع المرأة بلمت وجنتيها دلالة على ما عندها من فرط الانعطاف . وعندي ان السبب في ذلك كثرة معاشرتها لاطفالها وهم بعد في حالة تدعو الى الشفقة والحنان فتتولد فيها هذه العواطف الرقيقة التي من شانها نفع الانسانية عموماً . لان من قلت شفقته قلت مساعدته لمستحقيها .

وكفاني برهاناً على ذلك وجود الممرضات الكريمات الاصل العريقات في الحسب والنسب في المستشفيات يمرضن المرضى وفي ساحات القتال يجبرن من تسحق عظامه بندقية

الرجل ويعالجن جراح السيوف والحراب وهي آلات الشر التي لا يحملها الا ساداتنا الرجال .

فالى متى يا سيداتي هذا التمادي في سفك الدماء اما آن للانسان ان يشفق على اخيه الانسان ؟ بلى وان هذا الشفوق هو المرأة التي كانت الامس تشجع الرجل على الحرب من خلف الستار وفي معمعة القتال . حتى صار الرجل يقدم على الابقاء باخيه والقاء نفسه الى التهلكة ارضاء لها . ولكن المرأة اليوم قامت في الغرب تنادي اخاها بدأ الرجاء ليلقي عنه السلاح ويبطل القتال ليسود السلام في جميع ربوع الانام

وفوق هذا فان المرأة قد بدأت تقوم باعمال عظيمة لتحسين الهيئة الاجتماعية وقرب شاهد على ذلك ما تراه امامكن ايتها السيدات . فان هذا الدوي العلمي يضم بين جناحيه مجموعة ايتامى اللواتي نحل عليهن الدهر فسلبت من كريمات النساء اكف السخاء فكان من ذلك مدرسة زهرة الاحسان نسبة الى احسان المحسنات اللواتي تبرعن بمالهن او ساعدن بعملهن على تشييد هذا الصرح العلمي العجيب القائم امامكن الشاهد بما للمرأة من الايادي البيضاء في عالم الوجود

فالمرأة امام النسل ومربية رجال المستقبل هي اساس العمران وباهكانها اذا تعلمت فاز هذه الهيئة الخالدة الوجود في الشرق . ولا يرجى الارتقاء الحقيقي الا منها . فتعليمها واجب لتعرف كيف تربي اولادها وكيف تعاشر زوجها ليرضى منها وعنها وكيف تسوس مملكتها المنزلية بينها وبين الزوج والاولاد والخدم وغيرهم ممن يقتضي لسياستهم عقل هذه العلم ليقوى على ادارة مجتمع هذا شأنه من الخطورة

وهنا لا بد لي من ان اصرح اسفة وانا اصرح بما يمض بنات جنسي بان معلمات الامهات الآن لا يقدرن لمعنى حق قدرها ولذلك فاننا نرى بناتنا منذ فطمن وراء تعلم اللغات الاجنبية تاركات لغتهن الوطنية كانها ليست شيئاً يستحق الالتفات . والواقع ان السيدة التي لا تحسن التعبير بلغتها لا يمكنها ان تكون امرأة عظيمة فيما يتعلق بالشؤون الوطنية

ولذلك فقد اخذت هذه المدرسة على عاتقها تعليم البنات اللغة العربية الفصحى مع باقي اللغات الاجنبية . وبهذه اللغة توصل الى اذهانهن ما يجب عليهن في البيت كبنات وكربيات لرجال المستقبل .

واختم خطابي بالدعاء للمرأة الاهلية لتمكن الرجال من ترقية شؤوننا النقوم بما في نفوسنا من الاعمال العظيمة . وهي تعميم العلم والادب والسلام